ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلة التاريخية الجزائرية

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص321-334

# نظرات في سيرة ومناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد القيرواني

# 219-302هـ/834-914م

# Insights from the biography and debates of Abu Uthman Saeed bin al-Haddad al-Kairouani 219-302 AH / 834-914 AD

لعموري مياد *
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)
مخبر المؤسسات الجزائرية عبر التاريخ ودورها في التنمية
lmiad@univ-dbkm.dz

نورالدين شعباني
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)
nourchabani@yahoo.fr

**معلومات المقال**

**تاريخ الارسال:**
2021/05/18
**تاريخ القبول:**
2021/10/21

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ سعيد بن الحداد
- ✓ المناظرات
- ✓ القيروان
- ✓ المالكية

**الملخص:**

في هذا البحث نحاول تسليط الضوء على سيرة ومناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد القيرواني، وهو أحد أعلام الغرب الإسلامي في القرن الثالث هجري/ التاسع الميلادي. فتعرضنا للتعريف بشخصية الإمام ابن الحداد، نشأة وتربية وتلقياً وتصنيفاً، وتحقيقاً في مذهبه الفقهي ثم وقع التركيز بصفة أخص على أهم مناظرته التي خاضها ضد المناوئين من أهل البدع والنزعات المنحرفة في عصره فقد عُرف بمناظرته القوية والهادفة في صد شبهات المخالفين والتي ذاع صيتها وعلا ذكرها ببلاد المغرب. وقد أبان هذا البحث عن عظمة هذه الشخصية المتميزة وإسهاماتها الكلامية والجدلية في نصرة المذهب السني وتطور الحركة الفكرية بالمغرب الإسلامي عموماً وبالقيروان خصوصاً.

**Article info**

**Received:**
18/05/2021
**Accepted:**
21/10/2021

**Key words:**
- ✓ Said Ben El Haddad
- ✓ Debates
- ✓ Kairouan
- ✓ Malikism

**Abstract:**

An In this research, we try to shed light on the biography and debates of Abu Uthman Saeed bin al-Haddad al- Kairouani, who was one of the leading figures in the Islamic West in the third AH / ninth century CE. The research starts by the definition of Imam ibn Al-Haddad's personality, from his upbringing, education and his writings, to the investigation of his jurisprudential doctrine. Then, it focuses more specifically on the most important debates he conducted against his opponents of heresy makers and the deviant tendencies of his time; the strong and purposeful arguments in repelling the suspicions of his opponents, made his debates famous in the Maghreb.

* المؤلف المرسل

**مقدمة**

عرفت القيروان خلال القرن الثالث هجري ازدهاراً في مجال الفكر والثقافة والعلوم، وشهدت حركة فكرية رائدة ونشاطاً علمياً غير محدود كما عرفت تنوعاً وتنافساً فكرّياً لوجود عدة مذاهب فقهية وفرق عقدية تباينت تصوراتها واختلفت أفكارها ومرجعياتها، مما نتج عنه جدل واسع أدى إلى مناظرات علمية ونقاشات حادة بين علماء هذه الفرق والمذاهب. وكان من أهم إفرازات هذه النهضة الفكرية ظهور عدد كبير من العلماء والفقهاء منهم الإمام أبو عثمان سعيد بن الحداد القيرواني، المتكلم والفقيه والمناظر، فكان عالماً فذاً فقيهاً مجتهداً، ساهم في توطيد العقيدة السنية كما قام بمجابهة المخالفين من أهل البدع واشتهر بمواقفه ومناظراته للشيعة والمعتزلة وغيرها من المذاهب والفرق، فكشف صيغ أفكارهم وضلال دعواتهم المخالفة للدعوة السنية، وقدم الكثير من أجل أن تبقى القيروان والمغرب الإسلامي سنية العقيدة خالية من البدع والأفكار المنحرفة.

وجاء هذا المقال الموسوم بـ: "**نظرات في سيرة ومناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد القيرواني**" كمحاولة لتسليط الضوء على بعض الملامح الفكرية والعلمية لهذه الشخصية وإبراز مكانته العلمية الهامة من خلال محاولة الإجابة عن الإشكالية التالية: **ما طبيعة نشأة الإمام بن الحداد وتكوينه وآثاره العلمية؟ وكيف عكست مناظراته العلمية؟**

## 1. ترجمة أبو عثمان سعيد بن الحداد القيرواني

### 1.1. اسمه ومولده ونشأته

هو الفقيه، اللغوي، النحوي، المناظر، المُتكلم، العالم بأخبار إفريقية وعلمائها، وهو العابد الزاهد: أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني القيرواني، يعرف بابن الحداد، والحداد جده لأمه[1]. يقول عنه الدباغ في معالم الإيمان: "**وعوام أهل القيروان عندنا يقولون: سعيد الحداد وإنما سمي الحدّاد لحدة ذهنه، وهو وهم، وإنما هو ابن الحداد**" [2].

ولد ابن الحداد عام 219هـ ويقال عام 217هـ بالقيروان وبها نشأ وعاش في أكنافها يتلقف العلم من أفواه رجالها وقد كانت مهدا للعلماء ومقراَ للفقهاء، وموطناً للمحدثين، ولم تتعرض المصادر التاريخية لنشأته وحياته الأولى بالتفصيل والبيان، فلم يعرف إلا عالماً راسخاً في العلم وفقيهاً كبيراً من فقهاء القيروان[3]. وتوفي في رجب سنة 302هـ ودفن بباب سلْم وقبره ظاهر معروف. وحكى أنه لما مات خرج البريد سحرا يبشّر بموته أمير بني عبيد ورثي بأشعار كثيرة [4].

### 2.1. تعليمه وشيوخه

تلقى ابن الحداد العلم عن أبرز شيوخ القيروان، فاستفاد من جلة من العلماء وروى عنهم فصحب الإمام سحنون وكان يكثر ذكره ويذهب في الثناء عليه كل مذهب[5]، كما سمع من أبي سنان زيد بن سنان الأزدي، وتلقى الحديث من أبى الحسن الكوفي بطرابلس[6].

ولعل الملفت للنظر أنه لم تكن لابن الحداد رحلة ولاحج كغيره من كبار الفقهاء، وقد كانت الرحلة في طلب العلم من سمات ذلك العصر، ومما يحرص عليه العلماء وطلاب العلم وذلك لمّا يجنونه وراء الرحلة من ثمار كثيرة، ولم يكن قعوده عن الرحلة العلمية إلى المشرق تعصباً منه للمكان، ولا استهانة بالأخذ عن غيره من العلماء، بل لقلة ذات اليد، ولفاقة أقعدته ولو لأداء فريضة الحج فمعظم المصادر تشير إلى أنه كان يعاني قلّة اليد، وأنه كان يعيش حالة من الفقر والخصاصة وقيل أنه في آخر حياته أصبح ذا ثروة ومال بعد موت أحد أقاربه بصقلية فورث منه مالاً وفيراً [7].

### 3.1. عصر ابن الحداد

عاش ابن الحداد في الفترة الواقعة ما بين تسعة عشر ومئتين حيث كانت ولادته، وعام اثنين وثلاثمائة حيث كان تاريخ وفاته وهذا ما يوافق القرن الثالث هجري ومعنى هذا أنه عاصر الدولة الأغلبية والدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي. ويعتبر العصر الأغلبي من أزهى العصور في مدينة القيروان في المجال العلمّي وفي مجال الحضارة والعمران والأمن والاستقرار، كما اشتهرت بيئة القيروان في هذا العصر بالتنوع الثقافي والفكري، حيث تعددت فيها المدارس الفكرية، والمذاهب الفقهية، فقد شهدت وفود عدة مذاهب فقهية وفرق عقدية تباينت تصوراتها واختلفت أفكارها ومرجعياتها مما نتج عنه تنافساً وجدل واسعاً [8].

وكان الأمراء الأغالبة "**متحيزين للمذهب الحنفي في الفروع، ناصرين للمذهب المعتزلي في العقائد لتبعية هذه البلاد لحكم الخلافة العباسية في بغداد، في فترة كان خلفاؤها يتبنون المذهبين وينصرونهما، بل وكانوا يفرضونهما على الناس فرضاً، لكن سواد أهل إفريقية كانوا تبعا لعامة العلماء بها على مذهب مالك، مذهب أهل السنة والجماعة**" [9]، وقد أحدث هذا نفرة شديدة بين علماء المالكيّة وبعض الأمراء [10].

وتعددت مظاهر النشاط العلمي في القيروان في عصر الأغالبة، من علوم شرعية وعقلية وأدبية فعقدت حلقات العلم في المساجد وبيوت الفقهاء، وسادت المناظرات الفكرية بين الفقهاء والعلماء، في شتى المسائل الفقهية والكلامية وكثيراً ما كانت تعقد مجالس المناظرات والمجادلات حول عدة مسائل فقهية بين فقهاء مالكيين وأحناف من جهة، وبين مالكية ومعتزلة من جهة أخرى، وحتى بين المالكيين أنفسهم، وغالباً ما كانت تعقد هذه المناظرات في بلاط الأمراء، وكانت من أبرز المسائل الكلامية التي تمت مناقشتها مسألة خلق القرآن، فقد عرفت مدينة القيروان في هذا العصر فتنة خلق القرآن وقد دعى إليها بعض أمراء الأغالبة وامتحن بسببها كبار علماء القيروان[11]. وفي عصر الفاطميين اتسعت جوانب النهضة والحضارة التي أسسها الأغالبة قبلهم، وقد ازدهرت الحياة الأدبية والعلمية في عهدهم وانتشر مذهب الشيعة عن طريق الدعاية والتبشير وأحيانا عن طريق السيف والقوة [12]. وكان للشيعة آراء كثيرة جديدة على أهل المغرب الإسلامي، الذين كان أكثرهم من المالكية لذلك قامت مجالس المناظرة والجدل والمساجلة بين شيوخ المذهب المالكي وبين رؤساء وزعماء المذهب الشيعي وكانت كثيرًا ما تنتهي هذه المناظرات بهزيمة المذهب الشيعي، مما يثير حفيظتهم ويوغر

صدورهم وحاول الشيعة فرض مبادئهم وعقائدهم بقوة السلاح مما جعل الصراع بينهم وبين المالكية يصبح أشد ضراوة وأوخم عواقب [13].

ومّما لا شك فيه أن الإمام ابن الحداد تأثر ببيئته، فالإنسان ابن بيئته تؤثر فيه الأحداث سواء السياسية أو الاجتماعية أو حتى العلمية، بحيث تترك أثرا عميقاً يساهم في صنع شخصية الفرد وتكوين ثقافته، وكان للقيروان أثرها في صقل شخصية ابن الحداد فقد استفاد من تنوعها الفكري سواء في العصر الأغلبي أو الفاطمي فوقف على مدارك الآراء وساهم بدوره باعتباره سنياً، في رد الشبهات التي أوردها الشيعة والمعتزلة وغيرهما من الفرق المنحرفة، سواء من خلال دروسه ومناظرته أو من خلال مؤلفاته وهذا ما سنلاحظه في ثنايا هذا البحث.

### 4.1. مؤلفاته

كان لابن الحداد نصيب كبير في مجال التأليف حيث ذكر بعض أصحاب التراجم والدارسون لحياته كالزبيدي والدباغ والقفطي وغيرهم مجموعة من الكتب التي ألّفها، كما أشاروا إلى كثرتها وغزارته في التأليف[14]، وتناول من خلالها العديد من الفنون العلمية الشرعية كالتفسير والحديث والقراءات غير أنه برع في تصنيف الكتب والرسائل ذات الطابع الكلامي فعلى يديه تطورت المدرسة الكلامية السنية في القيروان ونجد ذلك في كلام صاحب أنباء الرواة حيث ذكر أن جملة كتبه كانت في الاحتجاج على الملحدين [15] ومن بين ما بلغنا من كتبه نذكر:

**الاستواء:** ويوجد منه جزء في مكتبة القيروان، نشره عبد المجيد بن حمدة في آخر كتابه "**المدارس الكلامية بإفريقية**" [16] غير أن عبد الوهاب الحسني في كتابه العمر قد نفى وجود علاقة بين محتوى ما نشر من الكتاب وموضوع الاستواء، كما انتقد عبد المجيد حمدة في عدم توثيق هذا الجزء وإيضاح أصله الذي نشرها عنه[17] .

**توضيح المشكل في القرآن:** وهو اسم الكتاب كما ورد عند الزبيدي[18] وذكره الدباغ باسم "**إيضاح المُشْكل**"[19] وموضوعه القراءات ومن هذا الكتاب قطعة في المكتبة الوطنية التونسية [20].

**الاستيعاب:** ذكر عبد الوهاب الحسني أنّ موضوعه العقائد وهو كتاب مفقود[21].

**الأمالي:** وهو كتاب مزج فيه الحديث والفقه، وعلّق فيه على بعض مسائل المدوّنة للإمام سحنون، ومن الكتاب جزء بمكتبة القيروان[22] .

**العبادة الكبرى والصغرى:** وهو كتاب مفقود، ذكره الدباغ [23] والزبيدي[24] ولا يُعرف موضوعه [25].

**عصمة النبيين:** ذكره الدباغ بهذا الاسم وأورده الزبيدي باسم "**عصمة المسلمين**" وذكره القفطي باسم "**عصمة الدينيين**" [26] وفي الوافي "**عصمة المسلمين**" [27] وهو كتاب مفقود.

**كتاب المقالات:** وهو رد على أهل المذاهب أجمعين كما ذكر الزبيدي[28] وهو كتاب مفقود[29].

**الرّدّ على الشّافعي:** توجد قطعة من الكتاب بمكتبة القيروان تنسب لابن الحداد وقيل بل هي لتلميذه ابن اللباد [30]، وقد ذكره الخشني فقال: "**وله رد على الشافعي في كتاب لم يظهر على أيدي الناس، أراه لم يأخذ نسخته، وكان مقدار تأليفه على الشافعي شقتين، كل شقة منها تسمى ثلث قرطاس فملأها ظهراَ وبطناَ**" [31].

**معاني الأخبار:** وهو كتاب في الحديث ومنه قطعة في المكتبة الوطنية بتونس يشرح فيه بن الحداد مجموعة من الأحاديث التي يرويها بأسانيده، ويوجد منه جزء في مكتبة القيروان[32] .

**المجالس:** ذكره صاحب كتاب طبقات اللغويين والنحويين فقال: "**وله مع أبي عبد الله وأبي العباس (وهم أحد أكبر دعاة الدولة الفاطمية بالمغرب) مسائل برز فيها وظهرت حجته فيها. ثم أملاها سعيد على أصحابه وسماها "المجالس**"[33]، وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن مكتبة القيروان كانت تحتفظ بهذه المجالس إلى حد أواسط القرن السابع للهجرة حسب المذكور في سجلها القديم [34].

### 5.1. مذهبه الفقهي

نشأ أبو عثمان نشأة مالكية خالصة حيث كانت القيروان بيئة علمية ترجح مذهب مالك وهو المذهب السائد بها وقد كان أبو عثمان يجل مالكا ويعظمه[35] ومن أقواله فيه: "**كان مالك من الراسخين في الإسلام فسئل ففي العلم ؟ قال : كان والله أرسخ من الجبال الراسيات**" [36]، وأخذ فقه مالك عن سحنون رأس المالكية في زمانه وكان كثير الإطراء له "**يذهب في حسن الثناء عليه كل مذهب**" ومن أقواله فيه: "**جالست المتكلمين، فكل من لقيت من أهل العلم، فما رأيت منهم أصح غريزة من سحنون**"[37] وقد جاء في تعريف الذهبي له بأنه: "**الإمام، شيخُ المالكيّة ، صاحبُ سُحنون، وهو أحد المجتهدين، وكان بحراً في الفروع**" [38].

كما جاء في بعض المصادر أن ابن الحداد تحول شافعياً وتخلى عن المذهب المالكي وهذا الرأي نراه مردود من عدة أوجه:

**أولاً:** أن تلاميذه ومنهم أبو العرب وتلميذه الخشني لم يذكروا في ترجمتهم لابن الحداد هذا الانتقال إلى المذهب الشافعي وعدوه من أصحاب سحنون ومن المدنيين وهؤلاء أعلم بأصحابهم[39]، كما أن الامام الذهبي لم يؤكد هذا الانتقال ولم يقتنع به بدليل ذكره لهذا الانتقال بقوله: "**وقيل أنّ ابن الحداد تحوّل شافعياً من غير تقليد**" [40]. لكنه في بداية ترجمته لابن الحداد أكد أنه شيخ المالكيّة.

**ثانياً:** أن علماء الشافعية لم يذكروا في طبقاتهم (طبقات الشافعية) اسمه[41]؛ ولو كان شافعياً لما خفي عليهم.

**ثالثاً:** أن ابن الحداد ألف كتاباً في الرد على الشافعي وذكر الخشني: "**أنّ ردّه لمّا ورد على المزني قرأه وسكت، فجعل فتى من البغداديين يحرّكه في جوابه، والمزني يعرض عنه، فلمّا أكثر عليه، رمى إليه بالكتاب وقال: أما أنا فقرأت وسكت، فمن كان عنده علم فليتكلّم**" [42].

والظاهر لنا بعد تتبع المصادر أنه تأثر بأقوال الشافعي فقد نقل القاضي عياض في تقريب المدارك عن صاحب كتاب "**المعرب عن أخبار أهل المغرب**" أنه: "**نزع إلى المذهب الشافعي من غير تقليد له، بل كان كثيراً ما يخالفه، ويعتمد على النظر والحجة**" [43]؛ وعليه فلم ينتقل ابن الحداد من المذهب المالكي إلى المذهب

الشافعي وإنما أصبح ذو توجه فقهي مستقل فلم يلتزم في آرائه وفتاويه بمذهب معين، بل كان مجتهدًا يقول ويفتي بما قام عليه الدليل وإن خالف مذهب مالك أو مذاهب الفقهاء الآخرين المعروفين حيث عارض الشافعي في مسائل[44] وكان كثير الرد على أبي حنيفة[45]، وكان ينبذ التقليد الذي شاع في البيئة القيروانية وفي هذا يقول عنه الخشني: "**كان مذهبه النظر والقياس والاجتهاد، لا يتحلّى بتقليد أحد من العلماء**" ويقول: "**إنما أدخل كثيراً من الناس إلى التقليد نقصُ العقول ودنا الهمم**". وكان يقول: "القول بلا علة تعبد والتعبد لا يكون إلا من المعبود. وكان يقول: "**كيف يسع مثلي مِمّن أتاه الله فهماً أن يقلّد أحداً من العلماء بلا حجة ظاهرة**"[46]. أما مذهبه في الأصول اتفق المؤرخون على أنه كان على مذهب أهل السنة، ذاباً على مذهب السّلف وكان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة[47].

## 2. نماذج من مناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد القيرواني

تميّز ابن الحداد بدراية فائقة في المناظرات، وقوة حجة، وسرعة بديهة، كما شهد بذلك الأئمة والمؤرخون فقال عنه الزبيدي: "...**وكان الجدل أغلب الفنون عليه، وكان دقيق النظر جداً، ثابت الحجة، شديد العارضة، حاضر الجواب، صحيح الخاط**"[48] ، وقال عنه الدباغ: "**أوحد رجال زمانه في المناظرة والرّد على الفرق، مُقدّما في ذلك**"[49]، وقال موسى القطان: "**لو سمعتم سعيد بن محمّد في تلك المحافل، وقد اجتمع له جهارة الصوت، وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان، وصوابة المعاني، لتمنّيتم ألا يسكت**"[50]، ويقصد بتلك المحافل المناظرات التي كانت تدور بينه وبين بني عُبيد ودعاتهم.

وبالإضافة إلى المناظرات التي كانت له مع كبار دعاة الشيعة جمعته مناظرات مع المعتزلة وعلى رأسهم شيخهم سليمان الفراء، وقد رجع بها عدد من المبتدعة [51]، كما جمعته مناظرات أخرى مع العديد من فرق أهل البدع[52] وأصحاب المذاهب الفقهية كالحنفية وغيرهم وأثارت هذه المناظرات العديد من القضايا منها مواضيع عقدية ومنها مواضيع تشريعية وبعضها لا يزال الخلاف فيها قائماً إلى يوم الناس هذا وسنكتفي بدراسة نماذج منها.

### 1.2. مناظراته مع المعتزلة

مما ورد لنا من مناظرات ابن الحداد للمعتزلة ما جاء في كتاب رياض النفوس إنه (ابن الحداد) قال: دخلت على إبراهيم (الأمير) وكان حاضراً للمجلس ابن الكوفي[53] وهو قاضيه يومئذ وابن الأشج [54] وجماعة، فلما دخلت عليه أومأ إليَّ – ولم أقبل له يداً ولا لغيره قط– قال: وأدناني حتى لصقت إلى سريره ثم أخذ بعض النافية – وهم القائلون بخلق القرآن– فقالوا: أيها الأمير كثر التشبيه وفشا بالقيروان... ثم جرى ذكر تكلم الله تعالى لموسى عليه السلام فقلت: ممن سمع موسى الكلام؟ قال ابن الأشج: من الشجرة، قلت: من ورقها أو من لحائها؟ قال أبو عثمان: فوالله ما درى أحد من أهل المجلس مرادي فيما ظهر لي إلا الأمير فبدر فقال لابن الأشج: اسكت ويلك!! خوفاً أن يجيب فيجب عليه القتل – قيل لأبي عثمان: وما أردت –أصلحك الله– بهذا الكلام؟ فقال: لأنه كل ما صرح فقال: بأنه من الشجرة على الحقيقة كفر، وزعم أن الله تبارك وتعالى لم يكلم

موسى، وأنه لم يفضله بكلامه – قال: ثم حول الأمير وجهه إليَّ فقال لي: أقول لك كما قلت لابن طالب: لا أقول مخلوقاً ولا غير مخلوق. قال: فقلت له: لِمَ؟ قال: لأن الله تعالى قال كلامي، ولم يقل مخلوقاً ولا غير مخلوق، قال فقلت له: فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه، فقال: إن الله عز وجل لم يقل مخلوقاً ولا غير مخلوق، وسلك في العلم مسلكك في الكلام قال : فقال والله لو قال ذلك أحد لقسمته بسيفي قال فقلت له: ولِمَ؟ قال: لأنه لو كان مخلوقاً لكان قبل أن يخلق العلم جاهلاً، لأن ضد العلم الجهل قال فقلت له: فكذلك لا يقال في الكلام مخلوق لأنه لو كان مخلوقاً لكان موصوفاً قبل خلقه بضده وهو الخرس وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام، ودليل آخر أن العلم لا يعدو إحدى منزلتين:

إما أن يكون صفة فعل كان من الله عز وجل فمن شك في خلق ذلك فهو كافر ولعلم الله وقدرته ومن شك فلم يدر ذلك مخلوق أو غير مخلوق فهو كافر، والكلام لا يعدو هاتين المنزلتين، فالواقف شاهد على نفسه بأنه تارك للقول بالحق حتماً، قال: فتبسم وبين لي أنه فهم ما كلمته به، وابن الأشج يكرر القول ويبديه، ويريد القول بالوقف، فأقبل عليَّ إبراهيم بن أحمد فقال لي: أقول لك كما كنت أقول لابن طالب: أنت لا تضطرني إلى مذهبك، وأنا لا أضطرك إلى مذهبي[55].

يظهر لنا من خلال قراءة هذه المناظرة:

- أن مكان عقدها هو قصر الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وقد كانت قصور الأغالبة مكان لعقد المناظرات والسجلات كقصور بني العباس في المشرق، وقد دار محتوى هذا المناظرة حول مسألة خلق القرآن وأنّ الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني وقاضيه عبد الله بن الأشج ومن معهم كان يعرفون موقف ابن الحداد من القضية مسبقاً، كما تظهر تفوقه عليهم في موضوع عقدي شائك مما جعل الأمير يتهرب من جداله بقوله: "**أنت لا تضطرني إلى مذهبك، وأنا لا أضطرك إلى مذهبي**"، وكذلك تبرز لنا مدى الشجاعة التي كان يتحلى بها ابن الحداد في مواجهة الأمراء والحكام وأنه لم يكن يُحجم لمهابة سلطان أو سطوته.

- توضح قدرة جدلية منطقية عالية لدى سعيد بن الحداد في درء الشبهة وإقامة الحجة، حيث استعمل خلال المناظرة أدلة عقلية منطقية أثبت من خلالها استحالة أن يكون القرآن مخلوقاً فاستخدم ابن الحداد في مناظرته: أسلوب الاستدلال الغير المباشر باستخدامه ما يسمى بالتمثيل في علم المنطق (بين صفتي العلم والكلام).

السؤال الجدلي لما سأل: "**ممن سمع موسى الكلام؟**" وسؤاله: "**فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه ...**"، فكان يقصد بأسئلته نقل الخصم عن مذهبه بطريقة المُحاجة.

### 2.2. مناظراته مع الشيعة (نماذج من مناظراته مع عبد الله الشيعي[56])

لما قامت الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية بالمغرب الإسلامي، حاول رجالها إفحام فقهاء القيروان، وإظهار عجزهم، وإسقاط مكانتهم لدى الجماهير عن طريق مجالس الجدل والمناظرة، بعد حملة مروعة من الاضطهاد، والتنكيل، فتصدى لهم علماء السنة وعلى رأسهم سعيد بن الحداد، ودارت بينه وبين عبد الله

الشيعي الصنعاني عديد المناظرات، فبرّز ابن الحداد وظهرت حجته فيها وأملاها على صحابه وسمّاها المجالس وهي نحو من أربعين مجلس احتفظ لنا الخشني بأربعة مجالس منها [57].

قال الخشني: " **كانت لأبي عثمان مقامات كريمة، ومواقف محمودة، في الدفع عن الاسلام، والذب عن السنة ناظر فيها أبا العباس المخطوم، أخ الداعية الشيعي الصنعاني، يعني داعية بني عبيد الروافض عند دخولهم افريقية، فناظرهم مناظرة القرين المساوي، لا، بل مناظرة المتعزز المتعالي، لم يُحجم لهيبة سلطان ولا خاف ما خيف عليه من سطوتهم، ولقد قال له ابنه أبو محمد: اتق الله في نفسك، ولا تبالغ في مناظرة الرجل. فقال: حسبي من له غضبت، وعن دينه ذببت**" [58]، وكان يناظرهم ويقول: "**لقد أربيت على التسعين ومالي إلى العيش حاجة ولا بدّ لي من المناضلة عن الدين**". ففعل وكان المعتمد عليه فيها حتى مثله أهل القيروان في حاله تلك بأحمد بن حنبل أيّام المحنة [59] .

### 1.2.2. مناظرة حول ولاية علي بن أبي طالب

دعا عبد الله الشيعي أبو عثمان بن الحداد مرة وذكر له حديث: "**من كُنت مولاه فعلي مولاه**" وقال له: ما بال الناس لا يكونون عبيداً لنا؟ فقال له ابن الحداد: لم يرد ولاية رق، وإنما أراد ولاية في الدين، وذكر قول الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّوتِيَهُ اُللَّهُ اُلْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادا لِّے مِن دُونِ اِللَّهِ وَلٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اَلْكِتٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ 78 وَلَا يَامُرُكُمْ اَن تَتَّخِذُواْ اُلْمَلٰئِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَاباً اَيَامُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ اَنتُم مُّسْلِمُونَ 79**﴾ آل عمران: **[79-78]** فما لم يجعله الله عز وجل لنبي لم يجعله لغير نبيّ، وعلي لم يكن نبيّاً، وإنما كان وزير النَّبيّ ﷺ تسليما، فصرفه وعهد إليه بكتم المجلس [60].

### 2.2.2. مناظرة حول مسألة خاتم النبوة

ويذكر أن أبي عبد الله الشيعي قال له يوماً: القرآن يقر أن محمداً ليس بخاتم النبيين. فقال له ابن الحداد أين ذلك؟ قال في قوله: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ وَلٰكِن رَّسُولَ اَللَّهِ وَخَاتِمَ اَلنَّبِيِّنَ ۗ وَكَانَ اَللَّهُ بِكُلِّ شَےءٍ عَلِيما 40**﴾ **[الأحزاب: 40]**. فخاتم النبيين ليس رسول الله. فقال له سعد: هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من واوات العطف كقوله تعالى: ﴿**هُوَ اَلاَوَّلُ وَالاَخِرُ وَالظَّٰهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَےءٍ عَلِيمٌ 3**﴾ **[الحديد: 03]** فهل من أحد يوصف بهذه الصفات غير الله عزو جل؟ [61].

### 3.2.2. مناظرة حول شبهة ارتداد الصحابة

ذكر القاضي عياض أن عبد الله الشيعي قال لأبي عثمان: أخبرنا الله تعالى أن أصحاب محمد يرتدون بعده. فقال ابن الحداد: وأين ذلك؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُ ۗ**

**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى اللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۚ 144﴾ [آل عمران: 144]**

فقال ابن الحداد: أنما هذا على الاستفهام، كقوله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۚ 34﴾ [الأنبياء: 34]**، ومعناه التقرير، ومعنى قوله: "**انقلبتم**" أفتنقلبون؟ والاستفهامان إذا جاءا في قصة، استغنى بأحدهما عن الآخر[62] .

### 4.2.2. مناظرة حول مفهوم السنة وحجية القياس ومشروعية الاستنباط

ذكر الخشني أن ابن الحداد دخل على عبدِ الله الشَّيعي، فأقبل يَسألُ مَن حضر من المدنيين والعراقيّين: السنة ماهي؟

فقال بعضُهم: السّنةُ، السّنةُ ...وما درى أحدٌ منهم: ما يُجيبُ.

(قال): ثم حول وجهه إليَّ، وقال: بلغني: أنك تقول بالكتاب والسنة ولكنّ السّنة ماهي؟

قال ابنُ الحدّاد: فقلت للشيعي: أصلُ السُّنة في كلام العرب المثال الذي يتمثل عليه قال الشاعر:

تُرِيْكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غيرَ مُقْرِفَةٍ  مَلساءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ ولا نَدَبُ

أي صُورة وجه ومثاله.

والسنة محصورة في ثلاث: الائتمار بما أمر به النبي ﷺ، والانتهاء عما نهى عنه، والائتساء بما فعل.

فقال الشيعي: فإن اختلف عليك فيما نقل إليك عن النبي ﷺ وجاءت السنة من طرق؟ (قال) قلتُ له: أنظر إلى أصح الخبرين نقلاً فآخذ بأصحهما وأطلب الدّليل على موضع الحق في أحد الحديثين، ويكون سبيلي في ذلك سبيل من شهد عنده شهود، فاختلفوا في شهادتهم: فقال بعضهم: أعلمُ وبعضهم لا أعلم، فلا بد من طلب الدليل على موضع الحق من الشهادتين.

فقال الشيعي: فلو اسْتَوَوْا في الثَّبات؟

فقلتُ له: يكونُ أحدهما ناسخاً للآخر.

قال: فمِنْ أين قلْتم بالقياس؟

فقلتُ له: من كتاب الله ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [ المائدة : 97]** فالصيد معلومة عينُه، والجزاء الذي أمرنا أن نمثله بالصيد عينه ليس بمنصوص فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل ما لم ينص ذكر عينه: بالقياس والاجتهاد، ومنه قول الله عز وجل: ﴿**يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ منكم**﴾ **[ المائدة : 97]**، فلم يكله إلى حاكم واحد حتى جعلهما اثنين : ليقيسا ويجتهدا.

فقال أبو عبد الله الشيعي: ومن ذوا عدل؟ وأومأ أن ذوا عدل إنما هم قوم مخصوصون بنص الآية.

قال: فقلت: هم الذين قال الله عزوجل فيهم في آية المراجعة؟ ﴿**وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ 2**﴾ **[الطلاق:02]** وأشهدوا ذوي عدل منكم ومثل ذلك في التثبيت القياس قوله عز وجل: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ**﴾ **[النساء:** 83] والاستنباط غير منصوص [63] .

يظهر لنا من خلال قراءتنا لهذه المناظرات التي جمعت بين ابن الحداد وعبد الله الشيعي:

- أن ابن الحداد جمعته مناظرات عديدة مع عبد الله الشيعي أغلبها مناظرات عقدية كانت تدور حول مواضيع عدة كولاية علي بن أبي طالب وشبهة ارتداد الصحابة، ومسألة النبوة وغيرها.
- تظهر تكلف وتعسف عبد الله الشيعي في تأويل معاني القرآن الكريم في مقابل ذلك تبرز براعة ابن الحداد في تفسير القرآن الكريم وشرح آياته وتبيان مقاصدها، كيف لا وهو يعتبر علماً من أعلام التفسير في عصره حيث كان يقول: "**ما حرف من القرآن إلا أعددت له جواباً ولكن لم أجد له سائلا**" [64]، وقد ذكر الدباغ "**أن مذهب أبي عثمان المناظرة وفهم القرآن والمعرفة بمعانيه**" [65] .
- كما يتضح من خلال مناظرته إمامته في اللغة ومعرفته بكلام العرب وشعرهم، لهذا فالقاضي عايض يقول عنه في كتاب ترتيب المدارك: "... **عالماً باللغة، نافذاً في النحو، جهير الصوت، اذا لحن في كلامه قال: استغفر الله ثم كرر الكلام معربا، وإذا تكلف الشعر أجاده ... وكان غاية في علم النحو، يحفظ كتاب سيبويه، ولم يكن بإفريقية أعلم بالنحو منه**"[66]، وقد ترجم له الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين فقال: "**هو أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني، كان أستاذاً في غير ما فنّ، عالماً بالعربية واللغة...** " [67] وأما الذهبي فذكر أنه كان "**رأسا في لسان العرب**" [68] دلالة على تمكنه في اللغة العربية. وحتى تفسيره للقرآن الكريم كان يعتمد فيه كثيراً على النواحي اللغوية والنحوية.
- كما تبرز لنا هذه المناظرات سعته في تحصيل العلم وبسطته في الاطلاع ومقدرته المتميزة على الحفظ والاستظهار وإلمامه بعدة علوم فقد كان استاذا في غير ما فن [69] لاستدلاله في مناظرته بعلوم كثيرة كالتفسير والحديث واللغة والنحو وغيرها، قال أبو العرب التميمي: " **كان أبو عثمان ثقة فيما ينقل عالماً بالفقه والكلام، والذب، والرد على الفرق، ومن أدهى الناس وأعرفهم فيما اختلفوا فيه**"[70].

**خاتمة**

لقد توصلنا من خلال البحث إلى جملة من النتائج وفيما يلي بيان ذلك:

نشأ أبو عثمان سعيد بن الحداد في القيروان، ولم تتعرض المصادر التاريخية لنشأته وحياته الأولى بالتفصيل والبيان فلم يعرف إلا عالماً راسخاً في العلم وفقيهاً كبيراً من المغرب الإسلامي.

معظم المصادر تشير إلى أنه لم تكن له رحلة ولاحج كغيره من كبار علماء عصره عدا رحلته لمدينة طرابلس ولعل السبب يعود في ذلك لقلّة ذات يده فقد كان يعيش حالة من الفقر والخصاصة.

التنوع الفكري في القيروان كان سبباً رئيس في تكوين شخصية ابن الحداد وأنبتت فيه هذه البيئة العلمية المتنوعة قدرة على المناظرة والمجادلة بعد أن وقف من خلالها على مدارك الأراء والوجهات المختلفة.

نشأ ابن الحداد نشأة مالكية خالصة، وقد بلغ مرتبة عالية من العلم حتى عد من العلماء المجتهدين.

ألف ابن الحداد كتباً عديدة جلها لم يصل إلينا، وقد تناول من خلالها العديد من الفنون العلمية الشرعية كالتفسير والحديث والقراءات غير أنه برع في تصنيف الكتب والرسائل ذات الطابع الكلامي.

تعتبر مناظرات ومؤلفات ابن الحداد من أهم الأعمال التي خدم بها المذهب السني في بلاد المغرب الإسلامي وخاصة في زمن الفتن كفتنة خلق القرآن وفتنة العبيديين، فقد نافح من خلالها عن المذهب السني ورد عن شبهات المخالفين والمشككين في العقائد السنية.

كانت تجمع مناظرات ابن الحداد تجمعه مع شخصيات سياسية ودينية وقادة وعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية كمناظرته لعبيد الله المهدي، وأبي عبد الله الشيعي الصنعاني والأمير إبراهيم بن الأغلب وسليمان الفراء وغيرهم.

كانت أبرز المواضيع التي خاضها ابن الحداد في مناظرته هي تأكيداً ودفاعاً عن عقيدته السنية.

اتسم ابن الحداد في مناظراته بالموضوعية والإنصاف العلمي كما اعتمد على الأدلة النقلية والعقلية في الدفاع عن العقائد الإيمانية مما مهد لنشأة مدرسة كلامية خاصة بإفريقية.

أظهرت مناظرات ابن الحداد سعته في تحصيل العلم ومقدرته المتميزة على الحفظ والاستظهار وإلمامه بعدة علوم.

كان ابن الحداد مناظرا بارعاً يستثمر مختلف قدراته اللغوية والعلمية وبالأخص قدرته على استحضار النصوص الشرعية وتفسيرها.

ساهم ابن الحداد من خلال مؤلفاته ومناظرته مساهمة جليلة في تطور الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي خلال القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي.

## الهوامش:

1 القاضي عياض (ت544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، 1983م/1403 هـ، ج5، ص78.

2 أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ (ت696هـ): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق ابراهيم شبوح ط1، مكتبة الخانجي، 1968م، ج2، ص295.

3 المصدر نفسه: ص295.

4 محمد الطالبي: **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، د ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968م، ص363.

5 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص78.

6 المصدر نفسه، ج5، ص78. / الدباغ: المصدر السابق، ص295.

7 محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989م، ص105.

8 الحسين محمد شواط: **مدرسة الحديث بالقيروان**، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض،1411 هجري، ج1، ص63- 67.

9 محمد بن الحسن شراحبيلي، **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المغرب، 2000م/1421هـ، ص160.

10 الحسين محمد شواط: المرجع السابق، 67.

11 بوعلام صاحي: **الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية**، أطروحة دكتوراه، إشراف خالد كبير علال، جامعة يوسف بن خدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2009/2008م، ص136-138.

12 أبو القاسم محمد كرو: **عصر القيروان**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1989م ص19.

13 بوعلام صاحي: المرجع السابق، ص142.

14 أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1984م، ص239.

15 الوزير جمال الدين أبى الحسن علي بن يوسف القفطي (ت664هـ): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1986م، ج2، ص53.

16 عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، دار العرب، تونس، ط1، 1986م ص309.

17 حسن عبد الوهاب حسني: **العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ج1، ص374.

18 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

19 الدباغ: المصدر السابق، ص296.

20 حسن عبد الوهاب حسني: المرجع السابق، ج1، ص374.

21 المرجع نفسه، ج1، ص374.

22 الحسين محمد شواط: المرجع السابق، ص612.

23 الدباغ: المصدر السابق، ص296.

24 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

25 حسن عبد الوهاب حسني: المرجع السابق، ج1، ص374.

26 الوزير القفطي: المصدر السابق، ج2، ص53.

27 صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت764): **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م، ص151.

28 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

29 الحسين محمد شواط: المرجع السابق، 612.

30 محمد محفوظ: المرجع السابق، ص107.

31 محمد بن الحارث الخشني: **قضاة قرطبة وعلماء افريقية**، تحقيق: الحسني عزت العطار، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط2، 1994م/1415هـ، ص201.

32 محمد محفوظ: المرجع السابق، ص107.

33 الوزير القفطي: المصدر السابق، ج2، ص53.

34 حسن عبد الوهاب حسني: المرجع السابق، ج1، ص374.

35 أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، تحقيق: بشير البكوش دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ج2، ص69.

36 القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص160.

37 المصدر نفسه، ج4، ص52.

38 شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سيرُ أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط واكرم البوشي، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م /1418 هـ، ج14، ص205.

39 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص79.

40 شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص207.

41 محمد العلمي: **المستوعب لتاريخ الخلاف العالي ومناهجه عند المالكية**، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ج1، 2010م/ 1431هـ، ص 489.

42 الدباغ: المصدر السابق، ص297.

43 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص79.

44 المرجع نفسه، ج5، ص79.

45 أبو بكر المالكي: المصدر السابق، ج2، ص69.

46 محمد محفوظ: المرجع السابق، ص105.

47 الحسين محمد شواط: المرجع السابق، 611.

48 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

49 الدباغ: المصدر السابق، ص611.

50 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص85.

51 شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص206.

52 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص85.

53 عبد الله بن هارون يعرف بابن الكوفي: فقيه حنفي، تولى قضاء تونس ثم القيروان وكانت وفاته سنة 283هـ. للمزيد أنظر: أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ج2، ص69.

54 أبو محمد عبد الله بن سعيد بن الأشج: الفقيه والمتكلم المعتزلي القيرواني توفي سنة 686هـ. للمزيد أنظر: أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ج2، ص69. / الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص232.

55 أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ج2، ص69.

56 أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، المعروف بالشيعي والصنعاني والمحتسب، عالم وأديب وشاعر من أهل صنعاء باليمن وقيل بالكوفة، صاحب دعوة عبيد الله المهدي، وفد على بلاد المغرب مع حجيج كتامة سنة 280هـ وقام بالدعوة فيهم ومهد القواعد للمهدي ووطد له البلاد وخاض معه الحروب، غير أن عبيد الله المهدي قام بقتله. للمزيد أنظر: أبو العباس بن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دت، ج2.ص 192-194.

57 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.

58 الخشني: المصدر السابق، ص285.

59 الصفدي: المصدر السابق، ج15، ص159.

60 شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص207.

61 الدباغ: المصدر السابق، ص300.

62 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص84.
63 أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ج2، ص263.
64 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص78.
65 الدباغ: المصدر السابق، ص269.
66 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص79.
67 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.
68 شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص205.
69 الزبيدي: المصدر السابق، ص239.
70 القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص79.